

فتح القدير

والخامسة : أنه سبحانه يذهب بالقتال غيط قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الأمور الجالبة للغيط وخرج الصدر فإن قيل : شفاء الصدر وإذهاب غيط القلوب كلاهما بمعنى فيكون تكراراً قيل في الجواب : إن القلب أخص من الصدر وقيل : إن شفاء الصدر إشارة إلى الوعد بالفتح ولا ريب أن الانتظار لنجاز الوعد مع الثقة به فيهما شفاء للصدر وأن إذهاب غيط القلوب إشارة إلى وقوع الفتح وقد وقعت للمؤمنين و الحمد هذه الأمور كلها ثم قال : { ويتوب الله على من يشاء } وهو ابتداء كلام يتضمن الإخبار بما سيكون وهو أن بعض الكافرين يتوب عن كفره كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح فإنهم أسلموا وحسن إسلامهم وهذا على قراءة الرفع في يتوب وهي قراءة الجمهور : وقرئ بنصب يتوب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى قرأ بذلك ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي والأعرج فإن قيل : كيف تقع التوبة جزاء للمقاتلة ؟ وأجيب أن القتال قد يكون سبباً لها إذا كانت من جهة الكفار وأما إذا كانت من جهة المسلمين فوجهه أن النصر والظفر من جهة الله يكون سبباً لخلوص النية والتوبة عن الذنوب